

المرأة والاشتراكية

وأثر التعليم في الفتاة العصرية

إذا تقهقر الاجتماع في الأمة فأغلب الظن أن هذا التقهقر يصيب المرأة أكثر مما يصيب الرجل . وإذا نهضت الأمة فإن الرجل يحب أن يسبق المرأة ، وهذا هو الذي حدث في مصر ، ولذلك فحين يحقون في أن تطرب كلما سمعنا بتقدم المرأة .

لما أنشئت المدارس الابتدائية للبنات قبل نحو أربعين سنة في الوجه القبلي تردّد كثير من الآباء في إرسال بناتهم إليها ، ولكن الحال الآن صارت عكس ذلك لأمر أرغبة باتت عامة في التعليم وتعدد امتحانات للامتحانات العمومية في الشهادات الابتدائية والثانوية العامة يزداد سنة بعد أخرى . كما أن الطالبات بكلّيات الجامعة وخاصة كلية الآداب يزداد عددهن وهن يتعلمن مع الطلبة دون الفصل بين الجنسين .

وكان أعظم ما بعث الفتيات من أبناء الفقراء المتوسطين على العناية بالمدارس تشجيع وزارة المعارف ومجالس المديرية لمن بالتعليم المجاني أو خفض المصروفات ثم فتح أبواب الارتفاق باحترافهن لمهنة التعليم التي كانت مقصورة قبل ذلك على الرجال . فان العامل الاقتصادي هنا قد فعل فعله .

وقد بلغ عدد الناجحات في امتحان شهادة الثقافة العامة عام ١٩٣٨ : ٤٣٧ بنتا التحق في الأغلب أكثر من نصفهن بكلّيات الجامعة ، كما نجح في امتحان الشهادة الابتدائية ١٦٣٦ بنتا . ولهذا أثره العميق في المجتمع المصري . فان الزوجة المتعلمة التي عرفت الجامعة أو حصلت فقط على شهادة الثقافة العامة أو الشهادة الابتدائية لن تسمح لبناتها أن ينشأن في الجهل التي عاشت فيه أمها أو جدتها . والأميرة التي تعرف أن ابنة جارتها قد حصلت على شهادة ما تبعث في نفوس فتياتها غير شريفة للحصول والثقافة . وقل أن يرضى زوج في هذه الأيام بزوجة غير متعلمة . والاعتقاد الشائع بين الأوربيين — كما يتضح هذا من مؤلفاتهم — هو أن تعدد الزوجات يتفشى في مصر ، وإن كل زوج مصري يعيش في حرم يؤدي عشرات الزوجات ولكن الحقائق الواقعة والأرقام تكذب هذا الوهم الشائع . ففي الإحصاء العام الذي أجرته الحكومة عام ١٩٣٨ يتضح أن المسلمين الذين تزوجوا أربع نساء بلغوا في القطر كله ٨٩١ رجلا والذين تزوجوا ثلاث نساء بلغوا ٧٣١٨ رجلا والذين تزوجوا امرأتين

بلغوا ١١٤٢٧ رجلا . وعلى هذا سبق أن ٩٥١,٨ في الألف من المتزوجين يتزوجون امرأة واحدة . فالزواج العام الذى يشيع بين الكثرة الساحقة هو بامرأة واحدة . وكما ارتقت الأحوال الاقتصادية وانتشر التعليم وخاصة بين النساء قل تعدد الزوجات . والبيت المصرى فى المدن الكبرى لا يختلف أقل اختلاف من البيت الأوروبى وذلك أنه مشيد على النمط الأوروبى بل ان الأثاث نفسه تؤخذ طرزه الجديدة عن لندن وباريس ، وألوان الطعام نفسها قد استحات الى حد ما من الطهى الشرق القديم الى الطهى الغربى الحديث . وتأثير القصص والمناظر السينمائية والاتصال الراديو فونى كلاهما يعمل للتوحيد لا فى زى المرأة فقط بل أيضا فى طراز الأثاث والذوق العام .

ونشاط المرأة الاجتماعى يبدو فى كثير من الجمعيات الجديدة التى أنشئ بعضها لترقية المرأة خاصة وبعضها للخدمة الاجتماعية عامة . وللسيدة هدى شعراوى الفضل الكبير فى حمل الحكومة على اصلاحات مختلفة تتعلق بحقوق الزوجة المطلقة إزاء الأطفال القصر . وقد صنيت وزارة المعارف أخيرا بإنشاء مدارس لتعليم الفتيات بعض الصناعات التى يستطعن الكسب منها .

وجميع الأمارات تدل على أننا قد شرعنا فى السير فى طريق لن نرجع عنه هو العمل لتعليم المرأة والإيمان بانها ترقى بمقدار حصولها على الثقافة الحديثة . فاهمتنا فى الوقت الحاضر تحصر فى التوجيه الحسن باختيار أفضل الأساليب للتعليم المنصر . وظروفنا ومجتمعنا كلاهما ينصب أمام أعيننا غايتين للتعليم ، هما التعليم التنقيفى والتعليم الحرفى . وواضح أن الفتاة الغنية أو حتى المتوسطة لا تنشأ من التعليم حرفة تتكسب بها بعد خروجها من المدرسة أو الجامعة . لأن كل غايتها أن تتعلم لى تكون زوجة متمدنة مثقفة تستطيع أن تزامن زوجها فى همومه العامة وتتفهم صعوبات عمله وتستطيع أن تدير بيتا عصريا وتربى أبنائها على الأساليب المصرية وتبهي لهم المستقبل الحسن . وكل فتاة فى مصر يجب أن تجعل الزواج مهمتها الأولى والأمومة غايتها المثل . والثقافة العامة هى خير ما يهيئ الفتاة لهذين الغرضين . ومعظم الطالبات فى كلية الآداب لا يتمصدن من التعليم الجامعى سوى هذه الثقافة العامة التى تتناز بها المرأة المتمدنة فى العصر الحاضر .

أما المرأة الفقيرة فتحتاج الى تعليم حرفى . وليس فى هذا القول ما ينافى تقاليدنا . لأن الزوجة الفقيرة كانت فى جميع عصورنا الماضية تساعد زوجها على الكسب . فقد كانت فى الحقل زارعة فالحة . وكانت فى البيت غازلة ناصجة . وهى كذلك الآن الى حد ما فى الأوساط الفقيرة ، وعمل المرأة هذا وزيادة كسب زوجها منه ، هما ما يفران الملاح بتعدد الزوجات .

وقد تنبهت الحكومة الى ضرورة التعليم الحرفى فأوجدت مدارس التطريز للفقيرات كما أوجدت مدارس أخرى راقية لتخريج المعلمات . والتعليم الروضى والابتدائى هو من مستأثرات المرأة الأوروبية والأمريكية ويجب أن يكون كذلك فى مصر . وهما يكن أحدهما جامدا كارها للتطورات العصرية فإنه لا يسمعه الا التسليم بضرورة تعليم المرأة الفقيرة تعليما حرفيا — ولو كان هذا التعليم خدمة البيوت — يقيها الفساد ولغوابة بعد الترميل أو بعد الطلاق . بل لعل تعليم المرأة من أنجح الوسائل لتثبيت الأسرة بالإقلال من الطلاق .

ويبدو من وقت لآخر تأفف وتشاؤم بشأن حال المرأة المصرية ومستقبلها . وهؤلاء المتشاؤمون يكثر من النقد وتعلو أصواتهم بحق أيام الاصطفاء حين يجدون فى سلوك المرأة بعض ما يتنافى الأخلاق العالية من الصون والاحتشام . وهم محقون فى هذا ولكنهم ينسون أنه لا يمكن للفتاة أن تنهت على الشواطئ إلا لأن هناك قى أو فتيانا يشاركونها فى هذا التهنك ، فالتدهور الأخلاق هنا ليس مقصودا على جنس واحد ، وظننا أن الزمن وحده هو الذى سيعالج هذا التدهور ويعيد أينا وقارنا واحتشامنا السابقين وذلك عندما تألف الثقافة الحققة وتزول عنا هذه الجئنة التى أصبنا بها يوم انطلقنا من قيودنا القديمة إلى هذا التحرر الجريء طفرة لم نكن مسلحين أزاءها بسلاح من التربية والأخلاق .

وإذا كانت هناك مسألة نسائية فهى ليست مسألة تعليم المرأة أو عدم تعليمها ولا هى الثقة بجرئتها أو التوجس منها وإنما هى هذا الفرق العظيم بين المرأة الريفية التى لا تزال تنشأ فى الجباب الصارم وأحيانا يهمل تعليمها وبين المرأة المدنية التى أخذت بقسط عظيم من التعليم والحرية . فهما تختلفان اختلافا عظيما . وقد يحدث أن يتزوج ريفى بفتاة تعلمت ونشأت فى المدينة فلا يثمر هذا الزواج غير الشقاق . ومثل هذا يحدث أيضا عندما يتزوج شاب من المدينة بفتاة ريفية . ونحن فى حاجة الى درس هذه المسألة الى جنب درسنا لتعدد الزوجات والاسراف فى الطلاق بين الأوساط الفقيرة .

شقاء الحكماء

إذا ورث الجهال أبناءهم غنى وجاها ، فما أشقى بنى الحكماء
حفى ناصف